

التكرار في شعر الصعاليك

*Repetition in the poetry of tramps*سامي العتلي¹

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1

Latli.sami@umc.edu.dz

تاريخ الوصول 2022/12/24 القبول 2023/07/10 النشر على الخط 2023/09/15
 Received 24/12/2022 Accepted 10/07/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى البحث في أسلوب التكرار في شعر الصعاليك، و ما يعنينا هنا في هذه المقالة هو جماليات التكرار، وكيف وفق الشعراء العرب القدامى ومنهم الصعاليك في توظيفه واستعماله الاستعمال الصحيح الذي يرتبط بالسياق وبالفكرة المحورية التي تدور في ذهن الشاعر، وأهم النتائج المستخلصة هي:

كان للتكرار حضور قوي في شعر الصعاليك، وتنوع هذا التكرار بين الصوتي واللفظي والتركيب، وقد وظف الشعراء الصعاليك التكرار في شعرهم خدمة لأفكارهم، ومحاوله منهم لشد انتباه المتلقي والتأثير فيه، ومن ثمة استمالته إلى مذهبهم، كما أدى التكرار وظيفته الحجاجية والإقناعية، ويظهر ذلك من خلال مقدرة الشعراء على توظيفه والياتان به ضمن سياق محدد لا يمكن الاستغناء فيه عن التكرار.

الكلمات المفتاحية: التكرار، الصعاليك، الشعر، الحجاجية.

Abstract:

This article aims to investigate the style of repetition in the poetry of the tramps, but what concerns us here in this article is the aesthetics of repetition, and how the ancient Arab poets, including the tramps, agreed to employ and use it correctly, which is related to the context and the central idea that revolves in the mind of the poet. The most important conclusions drawn are:

Repetition had a strong presence in the poetry of the tramps, and this repetition varied between phonetic, verbal and synthetic

Tramp poets employed repetition in their poetry to serve their ideas, and an attempt by them to attract the attention of the recipient and influence him, and then win him over to their doctrine.

Repetition performed its argumentative and persuasive function, and this appears through the ability of poets to employ it and bring it within a specific context in which repetition cannot be dispensed with.

Keywords: Repetition, tramps, poetry, argumentation.

البريد الإلكتروني: latli.sami@umc.edu.dz

¹ - المؤلف المراسل: سامي العتلي

1 - مقدمة:

حفل الشعر العربي القديم بالعديد من الظواهر البيانية والأسلوبية، التي تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة، وتبيان قيمتها الفنية، ووضعها في المكان المناسب لها، ولعل من أبرز هذه الظواهر ظاهرة التكرار، الذي يعد أحد أهم الأساليب في اللغة العربية، وهو تقنية بلاغية عرفها التراث العربي القديم شعرا ونثرا، وورد كذلك كثيرا في النصوص الدينية، ونقصد بذلك القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد عرج النحاة والبلاغيون والنقاد العرب القدامى على هذا الأسلوب، وتحدثوا عنه، وقدموا الشواهد والأمثلة المتنوعة له.

فالتكرار إذن ذو شأن كبير، وقد وظفه الشعراء القدامى بكثرة في قصائدهم المتنوعة من حيث الأغراض والمقاصد والأهداف، ولم يغفل عنه كذلك الشعراء المعاصرون، ومما لا شك فيه أن هناك تفاوتاً في استعماله من شاعر لآخر، وهذا ما سنحاول الحديث عنه في هذه المقالة من خلال التركيز على بلاغته، وما له من قيمة فنية بيانية، لدى طائفة من الشعراء هم الشعراء الصعاليك. ويمكن القول إن التكرار لا يقوم على إعادة لفظ أو جملة فحسب، وإنما هو إغناء للأفكار وزيادة للمعاني وفق ما يقتضيه السياق طبعا، لهذا يجب البحث في جماليات التكرار، والأثر الذي يتركه التكرار في ذهن المتلقي للنص الأدبي، فهو في نهاية المطاف يعبر عن موقف أو فكرة أراد الكاتب أو الشاعر إيصالها للمتلقي.

ومن خلال هذا التقديم نطرح مجموعة من القضايا للبحث والمناقشة فيما يلي:
ما هو التكرار؟ وما هي أنواعه؟ وهل هناك قيمة فنية للتكرار في الشعر؟ وكيف وظفه الشعراء العرب القدامى - ومنهم الصعاليك - في قصائدهم؟.

إذن تكمن أهمية الموضوع والأهداف المسطرة له، في كونه يتحدث عن التكرار أسلوبا بلاغيا، وقيمة فنية بيانية، ووسيلة من وسائل التماسك النصي، يستعين به الأديب تأكيداً لمعنى أو ترسيخاً لفكرة ما في ذهن المتلقي أو السامع، والهدف هو محاولة فهم الطريقة التي استعملها الشعراء العرب القدامى ومنهم الصعاليك لهذا الأسلوب، وكيف وظفوه في قصائدهم، من خلال تحليل بعض النماذج الشعرية المتضمنة أسلوب التكرار تحليلاً فنياً جمالياً، يتماشى وطبيعة البحث الأدبي.

واقترضت طبيعة الموضوع أن نقسمه إلى مقدمة، ومبحثين وخاتمة. أما المقدمة: تحدثنا فيها عن أهمية البحث في موضوع التكرار، والإشكالية والمنهج والهدف من البحث، وخطة البحث. والمبحث الأول: فيه ضبط مفهوم التكرار لغة واصطلاحاً. والمبحث الثاني: خصصناه للحديث عن ظاهرة التكرار في شعر الصعاليك، وخاتمة فيها تلخيص لأهم نتائج البحث.

2- تعريف التكرار لغة واصطلاحاً:

التكرار لغة من " الكر: الرجوع، وكرر الشيء وكرره: أعاده مرة بعد أخرى... ويقال: كررت عليه الحديث وكررت، إذا رددته. والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار"¹.

وحاء في أساس البلاغة: " وناقاة مكرة تحلب في اليوم مرتين، ولهم هرير وكرير

قال الأعشى:

نفسى فدائك يوم النزال إذا كان دعوى الرجال الكريرا
وهو صوت في الصدر كالحشرة¹.

أما من الناحية الاصطلاحية: فقد وردت تعريفات كثيرة للتكرار في كتب النقد والبلاغة العربيين، لأن التكرار من الأساليب الشائعة في اللغة العربية، وقد تعرض له معظم النحاة والنقاد والبلاغيين، وفي ما يلي بعض التعاريف الاصطلاحية:

فالفراء مثلاً يرى أن: "الكلمة قد تكرر العرب على التخليط والتخويف" وسماه أبو عبيدة مجاز المكرر، والتكرار محمود إذا جاء في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة إليه².

أما ابن رشيق القيرواني فقد عقد باباً سماه باب التكرار، أورد فيه الكثير من النماذج الشعرية، وتحدث عن دواعي التكرار ومسوغاته الفنية، ورأى أن "للتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل"³

ونجد الشريف الجرجاني يعرف التكرار بقوله: "عبارة عن الاتيان بشيء مرة بعد أخرى"⁴.

3- التكرار في شعر الصعاليك:

سنركز في حديثنا هنا على أنواع معينة من التكرار مما ورد في بعض قصائد ومقطوعات الشعراء الصعاليك، كعروة بن الورد، والشنفرى، وتأبط شراً.

3-1. التكرار الصوتي:

التكرار الصوتي هو التكرار الذي يكون لأحد الحروف بصفة لافتة للانتباه، والمستوى الصوتي كما نعلم هو أول مستوى في دراسة اللغة ولا غنى عنه في فهم حيثيات النص الأدبي، فهو المنطقة الأولى التي نلج من خلالها عوالم النص الخفية. والخطوة الأولى في التحليل الأسلوبى ستكون مراقبة مثل هذه التحليلات، كتكرار صوت أو قلب نظام الكلمات، أو بناء تسلسلات متشابكة من الجمل، وكل ذلك مما يخدم وظيفة جمالية كالتأكيد أو الوضوح، أو العكس كالغموض أو الطمس المبرر جمالياً للفروق⁵.

- حرف القاف: القاف حرف شديد ومجهور وهو من الحروف القوية المستعلية.

يقول الشنفرى:⁶

- أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ

1- الزمخشري. أساس البلاغة. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1. 1998. ج2. ص 129.

2- أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. الدار العربية للموسوعات بيروت لبنان 2006. ص 338.

3- القيرواني، ابن رشيق. العمدة في صناعة الشعر ونقده. مكتبة الخانجي: القاهرة. ط1. 2000. ص 698.

4- الشريف الجرجاني. التعريفات. ت: محمد صديق المنشاوي. دار الفضيلة: القاهرة. ص 59.

5- سيد خضر. التكرار الإيقاعي في اللغة العربية. دار الهدى للكتاب. ط1. 1998. ص 6

6- طلال حرب. ديوان الشنفرى. دار صادر: بيروت. ط1. 1996. ص 55.

- فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقَمَّرٌ وَشَدَّتْ لَطِيَّاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
- وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلَى مُتَعَزِّلُ
- لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى أَمْرِي سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ
- وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ : سِيدٌ عَمَلَسٌ وَأَرْقَطٌ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءٌ جِيَالُ

يتحدث الشنفرى في هذه الأبيات عن الرحيل والاستعداد له بحزم وقوة شديدين، موظفا حرف القاف الذي كرره ثماني مرات في هذه القطعة الشعرية، وهو من حروف أقصى اللسان، ومن حروف الجهر والشدة والاستعلاء، وكأن الشنفرى بهذا التكرار يعبر لنا عن الرغبة الشديدة في الرحيل، رافعا صوته ضد الظلم الذي تعرض له مع بني قومه، وهو هنا يريد القول أن نفسه عزيزة عليه، وأن كرامته تأبى عليه البقاء بينهم.

نلاحظ من خلال هذا التكرار أنه قد أحدث نغما موسيقيا، ولكن هذا النغم الموسيقي جاء صاحبا وعاليا، ولم يكن خافتا وهادئا البتة، وقد جاء مصاحبا وملائما لحالة الاستنفار والتذمر والسخط، التي كان عليها الشاعر.

مثل هذا النوع من التكرار الذي سبق الحديث عنه، يتجاوز كل ما هو نمطي، ليدخل في دائرة الإبداع، إذ يكشف فيه الشاعر عن قدراته الخاصة في إحداث أصوات بعينها تتكرر في كل بيت على حدة، فتخلق في داخله جناسا صوتيا، وتختلف من بيت إلى آخر، فتخلق بين هذا البيت وغيره من أبيات القصيدة الأخرى وقوافيها الثابتة ما يصح أن نسميه طباقا صوتيا¹.

- حرف الميم:

يقول عروة بن الورد:²

- أَقْلِي عَلِيَّ اللُّومَ يَا بَنَّةَ مُنْدِرٍ وَنَامِي فَإِن لَمْ تَشْتَهِي النُّومَ فَاسْهَرِي
- ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمِّ حَسَانَ فَإِنِّي بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِي
- أَحَادِيثُ تَبْقَى وَالْفَتَى غَيْرَ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً تَحْتَ صَبْرٍ
- تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الْكِنَاسِ وَتَشْتَكِي إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ تَرَاهُ وَمَنْكَرٍ

نلاحظ أن عروة بن الورد كرر حرف الميم اثنا عشر مرة، وهو عدد كبير مقارنة بعدد الأبيات، وحرف الميم من الحروف المجهورة ولكن جهره ليس شديدا وليس رخوا بل متوسط، ويعتبر كذلك من حروف القوة.

ونظن أن الشاعر هنا أراد الجهر بما يجول في خاطره، وبما يدور في قلبه، ولكن طالما أن الكلام موجه لزوجته، لم يكن الخطاب عنيفا، بل كان هادئا، غايته الإقناع، أي إقناع زوجته بضرورة الخروج، والمخاطرة بحياته، لهذا نراه يتوجه إليها مخاطبا لها بالإسم " ابنة مندر " في البيت الأول، و " أم حسان " في البيت الثاني.

1- سيد خضر. التكرار الإيقاعي في اللغة العربية ص 8 .

2- ديوان عروة بن الورد. ت: أسماء أبو بكر. دار الكتب العلمية: بيروت. 1998. ص 67.

يرى عروة أن زوجته قد أكثرت عليه من اللوم والعتاب لأنه كثير الغزوات، وكثير الترحال، جسمه لا يهدأ ونفسه لا تتعب، لهذا هو هنا يريد عليها، مستعملا حرف الميم اثنا عشرة مرة كما قلنا، موظفا إياه توظيفا يتلاءم مع جو النص وسياق الموقف. لقد أراد عروة أن يبين لزوجته أنه يريد أن يخلد اسمه بعد موته، وأن تذكر سيرته في الآفاق وبين الناس، وأن يبقى عزه ومجده محفورا في وجدان الناس وذاكرتهم، وهنا يأتي حرف الميم ليساعد الشاعر في إيصال المعنى، ونقصد بذلك معنى الخلود والكمال والمجد.

- حرف العين:

يقول تأبط شرا:¹

- أَبْعَدَ قَتِيلَ الْعَوْصِ آسَى عَلَى فِتْنًا وَصَاحِيهِ أَوْ يَأْمَلُ الزَادَ طَارِقُ
- أَطْرُدُ نَهْبًا آخَرَ اللَّيْلِ أَبْتَعِي عَلَالَةَ يَوْمٍ أَنْ تَعَوَّقَ الْعَوَائِقُ
- لَعَمْرُؤُ فَتَى نِلْتُمْ كَأَنَّ رِدَائَهُ عَلَى سَرَحَةٍ مِنْ سَرَحِ دَوْمَةَ شَانِقُ
- لِأَطْرُدُ نَهْبًا أَوْ نَزورُ بِفَيْتِيَّةٍ بِأَيْمَانِهِمْ سُمْرُ الْقَنَا وَالْعَقَائِقُ
- مَسَاعِرَةٌ شُعْتُ كَأَنَّ عِيونَهُمْ حَرِيقُ الْعَضَا تُلْفِي عَلَيْهَا الشَّقَائِقُ
- فَعُدُّوا شُهُورَ الْحَرَمِ ثُمَّ تَعَرَّفُوا قَتِيلَ أَنَاسٍ أَوْ فِتْنَةَ تُعَانِقُ

هنا نرى الشاعر تأبط شرا كرر حرف العين خمسة عشر مرة، والعين من حروف الجهر الشديدة، وهو حرف احتكاكي حلقي مجهور أراد الشاعر أن ييوج وأن يفجر مكانه النفسية، الشاعر هنا حزين على صديقين عزيزين عليه، والمصاب جلال، والمصيبة عظيمة، ولا مجال للكتم والتستر والكبت، أراد الشاعر أن يعالج نفسه من خلال التأبين الممزوج بالصوت العالي والتفجع والصرخ والآهات الحزينة. ولم يأت حرف العين منفردا وإنما جاء مصاحبا لحرف القاف المجهور كذلك وهو حرف حلقي انفجاري، وهذا المزج هو الذي زاد في حدة الخطاب وعنفوانه.

3-2. التكرار اللفظي:

جاء التكرار اللفظي عند الشعراء الصعاليك بأشكال مختلفة، وأنواع كثيرة، وسنركز هنا على نوعين فقط هما: تكرار الفعل، وتكرار الاسم.

- تكرار الفعل:

يقول الشنفرى²

- تَرَاهَا أَمَامَ الْحَيِّ حِينَ تَشَايِحُوا لَدَى مَنْكَبِهَا كُلُّ أَيْضَ مُصَلِّتِ
- تَرَاهَا كَأَذْنَابِ الْحَسِيلِ صَوَادِرًا وَقَدْ نَهَلَتْ مِنَ الدِّمَاءِ وَعَلَّتِ

1- تأبط شرا. الديوان. تحقيق علي ذو الفقار شاكرا. دار الغرب الاسلامي ط1 1984. ص ص 121 - 124.

2- ديوان الشنفرى. ص 38.

نرى الشاعر هنا يكرر الفعل تراها مرتين، وهذا التكرار للفعل له دلالة - خاصة وأنه جاء في مستهل الأبيات -، والشاعر هنا يتحدث عن السيوف ويصفها وصفا دقيقا بارعا ينم عن خبرة عميقة بها، ويشبه هذه السيوف بأذنان الحسيل وهي أولاد البقر حين تذهب لشرب الماء تباعا، وبعد ذلك ترجع وقد ارتوت من ظمئها، كذلك السيوف القواطع، حين ترجع من الحرب تكون إذ ذاك مرتوية بالدماء، وهذه الحالة التي صورها لنا الشنفرى للسيوف لا يمكن أن تُستتر أو تُجَبَّأ، فهي بادية للعيان، فالارتواء والشبع من الشيء يُرى بالعين المجردة، لهذا في تقديرنا نجد يستعمل الفعل تراها مرتين للدلالة على الوضوح والظهور والبروز، وأنه لا مجال للشك في هذا الأمر البادي للعيان.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نرى الشاعر يستعمل الفعل " يرى "، ولم يستعمل الفعل " ينظر " أو " يبصر "، للدلالة على التحقق من الشيء واليقين به، وإدراك المرئي إدراكا جيدا. وهذا المعنى يؤديه الفعل يرى إذا ذكر مرة واحدة، فكيف لو ذكر مرتين بشكل متتابع.

فتكرار الفعل أدى دورا كبيرا في إيصال المعنى وتثبيتته في ذهن المتلقي، وقد جاء تكرار الفعل " تراها " هنا مرتين تأكيدا للمعنى كما أسلفنا، والشاعر هنا يتحدث عن السيوف وكيف تبدو أثناء الحروب والمعارك.

- تكرار الاسم:

يقول تأبط شرا:¹

- وَيَا رَكْبَةَ الْحَمْرَاءِ يَا شَرَّ رَكْبَةٍ وَكَادَتْ تَكُونُ شَرَّ رَكْبَةٍ رَاكِبٍ

نلاحظ أن الشاعر هنا كرر لفظة " ركبة " ثلاث مرات في بيت واحد فقط، وهذا التكرار نرى أنه قد أدى دورا في إيصال المعنى الذي أراد الشاعر إيصاله للقارئ، وكما هو معلوم ومقرر عند النقاد ومتذوقي النصوص الأدبية أن الكلمة الواحدة حتى لو كررت في بيت واحد أو في بيتين متتاليين فإنها قد تؤدي وظائف عديدة وليس وظيفة واحدة، وهذا يرجع بالأساس إلى قدرة الأديب على التعبير والإنشاء والنظم وتركيب الكلام إزاء بعضه البعض.

هنا نرى الشاعر يكرر الكلمة ثلاث مرات في بيت واحد، وكل موضع من المواضع الثلاثة أدى معنى معيناً، ففي الموضع نرى الشاعر يتحدث عن هذه الركبة حديثا عاديا يناديها باسمها على أنها شيء عادي، وينسبها إلى ناقته الحمراء التي امتطأها ونقلته إلى أهلها، أما الموضع الثاني فقد انتقل الشاعر في نوع من التدرج في الخطاب، ووصف الركبة بشر ركبة، لأنها كادت أن تؤدي به إلى الهلاك، أما في الموضع الثالث، فقد انتقل بنا الشاعر إلى نوع آخر من الخطاب، والمعنى الذي يحمله هذا الخطاب من تدمير وسخط وكره لهذه الركبة، لدرجة أنه وصفها بأبشع الصفات، يا شر ركبة راكب.

التكرار اللفظي هنا لعب دورا أساسيا في إيصال المعنى ولم يكن ترفا من القول أو حشوا للكلام فقط لا فائدة ترجى من ورائه، بل بالعكس لولا التكرار لما وصلنا إحساس وانفعال الشاعر، ولما أحسنا بجمالية النص وروعته.

3-3. تكرار أجزاء الجمل:

وهو التكرار الذي يكون فيه إعادة لجزء من جملة وليس الجملة بأكملها، وقد ورد هذا النوع من التكرار كثيرا في شعر الصعاليك ولكننا سنذكر نموذجا واحدا فقط لتبيين من خلاله طريقة الاتيان به في الشعر وقيمتها الفنية. يقول الشنفرى:¹

- أُمَشِّي عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَنْ تَضُرَّنِي لِأَنْكِي قَوْمًا أَوْ أُصَادِفَ حُمَّتِي
- أُمَشِّي عَلَى أَيْنِ الْغَزَاةِ وَبُعْدَهَا يُقَرِّئُنِي مِنْهَا رَوَاحِي وَعُدُوتِي

في هذين البيتين نلاحظ تكرار جزء من جملة مكونة من فعل مضارع وحرف جر على، وهذا النوع من التكرار الذي يبرز من خلال تطابق التركيب النحوي، قد أفضى إلى لفت الانتباه إلى دلالة التركيبين المكررين، خاصة وأن هذين التركيبين جاءا في بداية صدر البيتين، للفت الانتباه أكثر إلى المعنى المقصود. وما نلاحظه هنا في هذين التركيبين أنهما جاءا مشتملين على فعل وفاعل والذي جاء ضميرا مستترا، إضافة إلى حرف الجر " على " والذي من معانيه الاستعلاء والفوقية²، سواء كان هذا الاستعلاء حقيقيا أو مجازيا. ويبدو لنا من معنى البيتين أن " على " هنا لحقيقة الاستعلاء، وهي استعارة تبعية شبه فيها الشاعر نفسه ومدى تمكنه من الأرض والأين الذي هو التعب، بحال من يعتلي الشيء ويكبّه، فصور لنا الشاعر هنا حاله تصويرا قصد من خلاله فكرة معينة هي السيطرة والتمكن، رسخها في ذهن المتلقي أكثر من خلال اللجوء إلى التكرار.

3-4. تكرار الأساليب:

نلاحظ أن الشعر العربي القديم، وشعر الصعاليك جزء منه يتوفر على الكثير من الأدوات المكررة مثل: يا ولا وليس وغيرها، ونلمس هذا واضحا وجليا أثناء قراءتنا للشعر، وهذه الأدوات قد تعني النداء أو النفي أو النهي... وسوف نحاول هنا أن نتبع بعض هذه الأساليب المكررة، ونتلمس مواطن الإبداع والتوفيق فيها.

- النداء:

يقول عروة بن الورد: " قال الشاعر عروة بن الورد هذه الأبيات لامرأته وهي تعاود إلحاحها في منعه من الغزو "³:

- أَقَلِّي عَلَيَّ اللّوْمَ يَا بِنْتَ مُنْدِرٍ وَنَامِي وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي التَّوْمَ فَاسْهَرِي
- ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنِّي بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِي

نلاحظ في هذين البيتين تكرارا لأسلوب النداء، والمنادى هو الشخص ذاته، ففي البيت الأول يخاطب الشاعر زوجته ويناديها ب " ابنة مندر " أما في البيت الثاني فيخاطبها ب " أم حسان ".

1- ديوان الشنفرى. ص 37.

2- انظر: الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى. معاني الحروف. المكتبة العصرية: بيروت. ص 112.

3- ديوان عروة بن الورد. ص 67.

يستخدم الشاعر في بداية النصّ فعلَ الأمر، فلا مناص هنا من الكفّ عن اللوم الذي لن يُزحزحه عما هو فيه، ومن ثم يأتي الشرط الثاني تأكيداً لهذه الرغبة، فهو يأمرها أن تنام، وإن لم تَشْتِ النوم فلها أن تسهر لكن دون أن تعيد عليه اللوم. " فهو يطلب إليها أن تخفف من لومها على مخاطرته بحياته، وأن تنام إن شاءت ملئ حفنيها، فإن وراءها فارسا يعمل على سعادتها"¹

نلاحظ أن الشاعر يستخدم النداء هنا مرتين في البيت الأول والثاني، "كما أننا نلاحظ الفارق في الاستخدام؛ فهو في المرة الأولى يذكر أداة النداء ويناديها بـ"نداء"، وفي البيت الثاني يحذف أداة النداء ويناديها بكُنيتها، أم حسان، ففي المرة الأولى نستشعر إحساسه بالبعد النفسي نتيجة لرفضه وضيقة من تكرار لومها، ثم كأنه شعر أنه قسا عليها، وهي الحبيبة لنفسه، فجاء بالنداء دون أداة، وكناها باسم ولدتها، وكأنه يقول لها رغم ذلك: أنت القريبة إلى نفسي، الحبيبة إليها، أم أولادي، ثم بدأ يسوق الأعدار لكثرة غزواته.²

وفي موضع آخر لتكرير النداء في شعر الصعاليك يقول تأبط شرا في إحدى قصائده:³

أَعْرَكَ مَنِّي يَا إِبْنَ فَعْلَةَ عَلْتِي	عَشِيَّةً أَنْ رَابَتْ عَلِّي رَوَائِي
وَمَوْقِدِ نِيرَانِ ثَلَاثِ فَشْرُهَا	وَالْأَمْهَاءُ أَوْقَدَتْهَا غَيْرَ عَازِبِ
سَلَبْتَ سِلَاحِي بَائِسًا وَشْتَمْتَنِي	فِيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبِ
فَإِنْ أَكْ لَمْ أَحْضِبْكَ فِيهَا فَإِنَّهَا	نُيُوبُ أَسَاوِيدِ اشْوَلِ عَقَارِبِ
وَيَا رَكْبَةَ الْحَمْرَاءِ يَا شَرَّ رَكْبَةٍ	وَكَادَتْ تَكُونُ شَرَّ رَكْبَةٍ رَاكِبِ

نلاحظ تكرار النداء بالأداة يا عدة مرات وهذا له دلالة النفسية والشعورية.

كّر الشاعر الأداة يا خمس مرات في هذه القطعة الشعرية، والنداء كما نعلم في اللغة العربية يستعمله المتكلم إذا أراد من شخص ما الاتيان أو الحضور، ولكن إذا تكرر النداء عدة مرات، فهو بذلك يخرج من هذا المعنى البسيط إلى معنى آخر أكثر تعقيدا، فتصبح دلالة نفسية وذهنية لها علاقة بالمتكلم والسماع، وهنا في أبيات الشاعر تأبط شرا نرى أن الشاعر يريد تنبيه السامع، وحثه على سماع كلامه، والتركيز الجيد مع مضمون الخطاب الذي سيسديه إليه، ويترسخ هذا المعنى أكثر إذا ربطنا النداء بسياق الأبيات، فهناك حوار دار بين الشاعر وشخص أراد الغدر به ونزع السلاح منه وشتمه، وهنا أراد الشاعر الصعلوك أن يرد الاعتبار لنفسه ولكرامته، من خلال استعمال النداء الذي كان بالأداة يا التي تكون عادة للبعيد.

1- فضل بن عمار العماري. الصعاليك قراءة أخرى. مركز الملك فيصل للبحوث: الرياض. ط1. 2012. ص 322.

2- شاذلي عبد الغني إسماعيل. قصيدة عروة بن الورد "أقلي علي اللوم يا بنة منذر" قراءة في المعاني والأساليب. موقع الألوكة.

www.alukah.net/literature_language/0/116593/

نشر المقال يوم 24 ماي 2017. تمت زيارة الموقع يوم 20 / 12 / 2022.

3- ديوان تأبط شرا. ص ص 61. 63.

فلا يمكننا فهم التكرار هنا إلا إذا فهمنا الأبيات وقمنا بربطه بالسياق العام للأبيات، حينئذ يمكننا الوصول إلى الدلالات النفسية التي يوحى بها هذا الأسلوب الذي يستعمله الشعراء والكتاب بكثرة كل حسب غرضه ومبتغاه. "غال الحكم على التكرار جزافاً أمر لا تقره قولعد العلم السلسم، ولكن يمكننا القول في الحكم عليه، إنه أمر نسبي، بمعنى أنه تارة يحسن ويجمل، وذلك إذا فطن المتكلم لمواطن استخدامه، وقد يقبح إذا أساء المتكلم استخدامه، كأن يستخدمه في غير موضعه"¹.

- تكرار الأداة لا:

يقول عروة بن الورد:²

- فَلَا أَتْرُكُ الْإِخْوَانَ مَا عُشْتُ لِلرَّدَى كَمَا أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ الْمَاءَ شَارِبُهُ

- وَلَا يُسْتَضَامُ الدَّهْرَ جَارِي وَلَا أَرَى كَمَنْ بَاتَ تَسْرِي لِلصَّدِيقِ عَقَارِيهِ

في هذين البيتين كرر الشاعر أداة النفي لا أربع مرات، وهذا النفي جاء تأكيداً لمعنى أراد الشاعر إيصاله للقارئ، فالشاعر هنا يتحدث عن خصال وصفات حميدة يمتاز بها، والملاحظ في هذه الأبيات أن "لا" دخلت على الفعل المضارع في الحالات الأربع. والفعل المضارع كما نعلم في اللغة العربية يتناول الزمن الدائم سوى الماضي فيعم الحاضر والمستقبل كما قال سيبويه: وبنوه لما مضى من الزمان ولما هو دائم لم ينقطع. ولما لم يأت بمعنى الماضي والمضارع وفعل الأمر، فجعل المضارع لما هو من الزمان دائماً لم ينقطع وقد يتناول الحاضر والمستقبل.³

يمكن القول إذن أن الشاعر أراد من خلال هذا النفي أن يبرئ نفسه مما هو مشين وقبيح من الأخلاق، كالغدر والخيانة والشماتة، في كل الأزمان وفي كل الأحوال، حاضراً ومستقبلاً، وأراد أن يبلغنا أن هذه الخصال مما لا يجوز في حقه، وهو الجاهلي الصعلوك الذي فر من قومه رفضاً للظلم، وطلباً لعزة نفسه التي أبت عليه الخضوع والاستسلام.

يمكن للتكرار إذن أن يرشدنا إلى الفكرة المحورية التي تدور في ذهن الشاعر، ويصبح بذلك مفتاحاً في أيدينا نستطيع من خلاله أن نفتح مغاليق النص، ونستكشف محبوءاته، وهذا الأمر يبدو واضحاً وجلياً لمن يقرأ شعر الصعاليك، الذين كانوا يجنبون في أعماقهم الكثير من المشاعر والأحاسيس والأفكار، فيأتي التكرار في مقامات ومواقف معينة يرشدنا إليها وإلى أعماق الشاعر، أو لنقل إلى منطقة اللاشعور التي يصعب على القارئ الوصول إليها في غياب مثل هذه الأساليب البلاغية والتكرار أبرزها وأقواها.

1- خالد عثمان حمدادين. أسلوب التكرار في القرآن الكريم. تركيا: جامعة وان، 2020. ص 5.

2 - ديوان عروة بن الورد. ص 48.

3- محمد دلوم. الفعل دلالاته على الزمن ووظيفته الإخبارية عند سيبويه. مجلة الحكمة للدراسات اللغوية والأدبية مج 2. ع 1. 2014. ص 60.

4- خاتمة:

كان للتكرار حضورا بارزا وقويا في المدونة الشعرية القديمة منذ العصر الجاهلي ، وخير مثال على ذلك شعر الصعاليك الذي لا يقل جمالا ورونقا عن شعر الشعراء الآخرين كما يذهب إلى ذلك معظم الباحثين والدارسين، ولهذا نجد فيه الكثير من الظواهر الأسلوبية والبلاغية التي ترفع من المستوى الفني للقصيدة، وتغني مضمونها، وتجعل القارئ يغوص بين ثناياها، وتبوح له بالكثير من الأسرار.

يمكن القول إذن إن أسلوب التكرار ظاهرة موسيقية ذات شأن كبير، وهو أسلوب شائع في الشعر العربي القديم، وقد اعتمد عليه الشعراء منذ الجاهلية كما رأينا مع الصعاليك، ووظفوه توظيفا فنيا وجماليا يلائم روح القصيدة وغرضها ومن خلال تتبعنا لبعض النماذج من شعر الصعاليك في العصر الجاهلي أمكننا الوصول إلى النتائج الآتية:

- كان للتكرار حضور قوي في شعر الصعاليك، وتنوع هذا التكرار بين اللصوتي واللفظي والتركيب.
- وظف الشعراء الصعاليك التكرار في شعرهم خدمة لأفكارهم، ومحاولة منهم لشد انتباه المتلقي والتأثير فيه، ومن ثمة استمالته إلى مذهبهم.

- أدى التكرار وظيفته الحجاجية والإقناعية، ويظهر ذلك من خلال مقدرة الشعراء على توظيفه والاتيان به ضمن سياق محدد لا يسعف فيه إلا التكرار.

- يمكن القول إن التكرار أسلوب من الأساليب البلاغية ذو قيمة فنية بيانية، ويتبوأ بذلك مكانته، فنا بيانيا أصيلا في البلاغة والنقد العربيين.

وفي الأخير نقول إن البحث في أسلوب التكرار يحتاج إلى مزيد من التعمق والبحث، من خلال دراسات وأبحاث تكشف قيمته الفنية ودواعيه البيانية والأسلوبية، لأنه في نظرنا ليس جزافا من القول أو ترفا من الحديث، بل هو تقنية من تقنيات البلاغة وأسلوب جمالي تدعو له الحاجة في مواطن وسياقات معينة لا يصل المعنى فيها إلا بالتكرار.

5- قائمة المراجع:

المؤلفات:

- 1/ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب، دار صادر: بيروت، مج5.
- 2/ الزمخشري، أبو القاسم محمود أساس البلاغة، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1998، ج2.
- 3/ الشريف الجرجاني، معجم التعريفات. تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة: القاهرة، د سنة.
- 4/ الشنفرى، الديوان، تحقيق: طلال حرب، دار صادر: بيروت، ط1، 1996.
- 5/ عروة بن الورد، الديوان، تحقيق: أسماء ابو بكر محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.
- 6/ تأبط شرا، الديوان، تحقيق: علي ذو الفقار شاكرا، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1984.
- 7/ القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده. مكتبة الخانجي: القاهرة. ط1. 2000.
- 8/ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، بيروت: المكتبة العصرية.
- 9/ أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. الدار العربية للموسوعات ط1. 2006.
- 10/ فضل بن عمار العماري، الصعاليك قراءة أخرى، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث، ط1، 2012.
- 11/ سيد خضر، التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، دار الهدى للكتاب، ط1، 1998.
- 12/ خالد عثمان حمدادين، أسلوب التكرار في القرآن الكريم، تركيا: جامعة وان، 2020

المقالات:

- 13/ محمد دلوم، الفعل دلالتة على الزمن ووظيفته الإخبارية عند سيبيويه، مجلة الحكمة للدراسات اللغوية والأدبية، مج 2، ع1، 2014.

مواقع الأنترنت:

- 14/ شاذلي عبد الغني إسماعيل (2017)، قصيدة عروة بن الورد "أقلي علي اللوم يا ابنة منذر" قراءة في المعاني والأساليب، موقع الألوكة:

https://www.alukah.net/literature_language/0/116593/